التوجيه النحوي والبلاغي للقراءات
الفصل والوصل أنموذجاً
دراسة وصفية تحليلية لنماذج مختارة

حواء عمر الشويرف
جامعة مصراتة – ليبيا

ملخص البحث:

هذه الدراسة هي محاولة لتتبع الظواهر النحوية والبلاغية التي بثها العلماء في ثنايا توجيههم للقراءات القرآنية، وتقف على طرائقهم في تحليلها، حيث إن الاتجاه اللغوي هو الغالب في توجيه القراءات، ونظراً لتعدد المسالك اللغوية فقد اقتصرت هذه الدراسة على الجانبين: النحوي والبلاغي؛ لارتباطهما معنوياً ودلالياً؛ إذ استغل الاتجاه البلاغي فلسفة النحو ومعانيه والإمكانات التعبيرية التي تتيحها ظاهرة الإعراب في العربية في توليد بعض الأوجه البلاغية المترتبة على التغاير الإعرابي في القراءات.

ولكون هذا الموضوع واسعاً ومتشعباً فقد اقتصرت الدراسة على الفصل والوصل ليكون أنموذجاً تتمثل فيه أقوال العلماء في توجيه القراءات.

ولاستيفاء جوانب الموضوع كان لابد من الحديث عن فن توجيه القراءات من حيث مفهومه ودوافع ظهوره وأهميته، ثم تعريف مصطلح الفصل والوصل الذي استعاض بعض العلماء عنه بمصطلح الروابط الظاهرة والمعنوية.

تلا ذلك استعراض لآراء العلماء التي تُجلي كثيراً من المعاني واللطائف اللغوية المرتكزة على التوجيهات النحوية والبلاغية والتي يتضح من خلالها أن الفصل والوصل يشتمل على تفاصيل دقيقة تكشف عن بعض أسرار الإعجاز النظمي في

القرآن الكريم كما تُبين أنه بفضل علم توجيه القراءات قد تطور الدرس اللغوي العربي تطوراً كبيراً.

الكلمات المفتاحية: القراءات. التوجيه النحوي. التوجيه البلاغي. الفصل والوصل.

The Grammatical and Rhetorical Interpretation of Readings Conjunction and Disjunction as a Model

Abstract: This study attempts to trace the grammatical and rhetorical phenomena addressed by scholars in their interpretation of the recurrent Quranic readings. It examines their methods of analysis, highlighting the linguistic orientation that dominates the interpretation of these readings. Given the diversity of linguistic approaches, this study focuses specifically on the grammatical and rhetorical aspects and their semantic and interpretative connections. Due to the breadth and complexity of this topic, the study is limited to the concepts of conjunction and disjunction as a representative model that reflects scholars perspectives in interpreting Qur'anic readings. To comprehensively address the topic, the study begins by discussing the art of Qur'anic reading interpretation, its definition, and the motivations behind its emergence. It then defines the concepts of conjunction and disjunction, which some scholars have referred to using the terms explicit and implicit links. This is followed by a review of scholars' views, showcasing various linguistic approaches centered on grammatical and rhetorical interpretations. Through these analyses, the study uncovers precise details that reveal some of the secrets behind the Qur'an's miraculous composition. Keywords: Qur'anic readings, grammatical interpretation, rhetorical interpretation, Conjunction.Disjunction.

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فإن القرآن الكريم هو المعجزة العظمى لنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– حيث أودع الله فيه أسراراً بلاغية أعجزت الفصحاء، فقد تحداهم الله بما هم فيه ضالعون، وفي طرائقه متمرسون، لكي تقوم عليهم الحجة وليعلموا أن هذا القرآن إنما هو من عند الله وليكونوا هم حُجَّة على سواهم، لأن من عجز عن مناطحة لغة القرآن وهو عالم بها، فإن عجز غيره آكد.

انبهر به الناس، وأقبلوا على دراسته، فألفت في علومه المختلفة المؤلفات، وتعددت في ذلك المصنفات.

وقد ارتبطت الدراسات اللغوية منذ نشأتها بالقرآن الكريم فهو يشكل معيناً لا ينضب لما فيه من أساليب تعبيرية متنوعة تشكل إعجازاً نظمياً فيه.

ولذلك لا تزال جهود الدراسين والباحثين تطالعنا بغرائب من وجوه إعجازه، وعجائب من أسرار أسلوبه، وروائع من لمسات بيانه.

وكانت قضية تعدد القراءات في النص القرآني من أهم القضايا التي تناولتها أقلام الباحثين قديماً وحديثاً، ورغم ما سطروه من أقوال في علاقة القرآن بقواعد اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية، وإبراز بلاغته وبيانه ووجوه إعجازه، فإن هذا المجال لا يزال مطلوباً؛ لأن موضوعه كتاب لا تنتهي عجائبه.

وموضوع الفصل والوصل من أهم الجوانب لإدراك ذلك. لاشتماله على تفاصيل دقيقة تكشف عن بعض أسرار الإعجاز النظمي في القرآن الكريم.

وقد تحدث القدماء كثيراً عن الفصل والوصل وأهميته من أمثال الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني وأبي هلال العسكري وغيرهم. وتناوله المحدثون أيضاً، إذ نقلوا عن القدماء شواهده ومواضعه، ويصف الدكتور إبراهيم أنيس اللغة العربية بأنها لغة الوصل، وإن الفصل والوصل في اللغات لا يعدو أن يكون أَمْرَ أسلوب.[1]

من هنا تتضح أهمية الموضوع؛ فمعرفة الفصل والوصل والتمييز بينهما أمر ضروري لفهم لغة القرآن الكريم، إذ تتوضح من خلاله الكثير من المعاني والأحكام، وهذا الأمر لا يتأتى إلا من خلال علم توجيه القراءات الذي يُعنى بالكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، وبيانها وإيضاح أركان القراءَة المقبولة من حيث الإسناد، وموافقة رسم أحد المصاحف العثمانية، وموافقة وجه من وجوه العربية، وتناغم هذه المستويات في تصوير المعاني وتأكيد الأوجه البلاغية المترتبة عليها.

ولما كانت أوجه التوجيه متعددة الأركان، ممتدة الشطآن، فإن هذه الدراسة جاءت لتلقي الضوء على جانب منها، وهو الفصل والوصل، لعلها تستشرف القيم الدلالية والبلاغية المترتبة على تغاير القراءات في هذا الموضوع الذي ارتكزت عليه هذه الدراسة التي جاءت في مبحثين تسبقهما مقدمة وتعقبهما خاتمة.

تحدث المبحث الأول عن فن توجيه القراءات من حيث تعريفه ودوافع ظهوره وأهميته أما المبحث الثاني –وهو الجانب التطبيقي في هذه الدراسة– فقد اشتمل على تعريف لمفهومي الفصل والوصل، ثم على تطبيقات في الفصل وتطبيقات في الوصل.

1– أنيس، إبراهيم: (1966). من أسرار اللغة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ط2. ص: 327.

كذلك فإن معرفة الفصل والوصل والتمييز بينهما أمر ضروري لفهم لغة القرآن الكريم، إذ تتضح من خلاله الكثير من المعاني والأحكام.

أهمية الموضوع:

لعلم توجيه القراءات قيمة كبرى في الدرس اللغوي والشرعي، كما يكشف عن كثير من وجوه الإعجاز، وبه يُرد على الطاعنين، وبفضله تطور الدرس اللغوي العربي تطوراً كبيراً.

أهداف الموضوع:

تتبع الظواهر النحوية والبلاغية التي بثها العلماء في ثنايا توجيههم للقراءات القرآنية المتواترة، والوقوف على طرائقهم في تحليلها، من خلال موضوع الفصل والوصل لاشتماله على نماذج وشواهد لغوية تفصح عن بعض أسرار الإعجاز النظمي في القرآن الكريم، وذلك للتزود مما بثه العلماء واقتفاء أثرهم في هذا المجال.

سبب اختيار الموضوع:

1- لعل من أعظم القربات عند الله تعالى المنافحة عن كتابه الكريم لا سيما إذا كان المجال ثرياً بالكنوز اللغوية، والدقائق الدلالية.

2- الوقوف على بعض اللطائف التي تكمن وراء نظم الجمل في آيات الذكر الحكيم.

منهج الدراسة:

إن البواعث التي حفزت الباحثة لإجراء هذه الدراسة، وأقنعتها بقيمة الموضوع وأهميته والعمل على تجليته، جعلتها تتبع المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الظاهرة من خلال استقراء الشواهد في سياقها وتبعاً لمتجهات موردها وطريقته في الإشارة للدلالة على معان معينة، ثم تحليلها وفقاً للمعايير النقدية.

الدراسات السابقة:

شكلت قضية توجيه القراءات في تراثنا اهتماماً كبيراً لدى العلماء الذين شغلتهم هذه القضية، فألفوا فيها العديد من المؤلفات فمن كتب اللغة مثلاً: كتاب سيبويه، والمقتضب للمبرد، والخصائص لابن جني، ومن كتب معاني القرآن وإعرابه: معاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن للزجاج، والتبيان للعكبري، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ومن كتب التفسير: الكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان، ومن كتب القراءات وتوجيهها: كتاب السبعة لابن مجاهد، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري، والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي، والمحتسب لابن جني، والكشف لمكي بن أبي طالب، ومن كتب البلاغة والنقد: كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، ومفتاح العلوم للسكاكي، والإيضاح للقزويني، وغيرها.

أما المحدثون فمنهم: مصطفى صادق الرافعي في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، والدكتور عبد الفتاح شلبي في كتابيه: أبو علي الفارسي حياته ومكانته، ورسم المصحف والاحتجاج به في القراءات. والدكتور عبد الله عليوة في رسالته للدكتوراه بعنوان: التوجيه البلاغي في القراءات القرآنية، وبحث بعنوان: البلاغة في القراءات الشاذة عند ابن جني للدكتور عبد المنعم الأشقر.

فإن كنت قد وفقت فيما قصدت إليه فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإذا كانت الأخرى، فحسبي أنني حاولت واجتهدت، والنقص عادة من خصائص البشر، وما الكمال إلا لله وحده، عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحـــث الأول

توجيه القراءات

1. مفهوم توجيه القراءات:

عرّف بعض العلماء هذا العلم بأنه "العلم الذي يعنى بتخريج القراءات القرآنية، وبيان علل وحجة ما ذهبت إليه القراءَة، وذلك بردها إلى لغة العرب، وأقوال أئمة اللغة، مع بيان ما يترتب على اختلاف اللفظ من اختلاف في المعنى، واستنباط للحكم من دلالة كل لفظ؛ لإحاطة النص القرآني بسياج الدراية إلى جانب سياج الرواية والسند"[1].

وأما إبراهيم عبد الله رفيدة فجعله مرادفاً للاحتجاج فقال: "الاحتجاج للقراءات؛ هو توجيه القراءَة وتعليلها؛ بإعرابها، وبيان سندها من اللغة، وما قد يترتب على ذلك من اختلاف المعنى، والتوفيق بين القراءات، والترجيح بينها، والموافقة لشروط القراءَة الصحيحة أو مخالفتها؛ لتوثيق النص القرآني، وإحاطته بسياج علمي لغوي، إلى جانب سياج الرواية والسند"[2].

فهو إذاً علم يهتم أساساً بعلاقة القراءَة القرآنية بقواعد اللغة العربية، ووجوه كلام العرب التي تحمل عليها، وتعلل وتفسر في ضوئها على النحو الذي اشترطه

1- الفارسي، أبو علي: الحجة للقراء السبعة. تح: بدر الدين قهوجي. الأردن: دار المأمون للتراث. ج1. مقدمة التحقيق. ص: 14.

2- رفيدة، إبراهيم عبد الله. (1990): النحو وكتب التفسير. ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان. ط3. ص: 493.

القراء في أركان القراءَة الصحيحة حين قالوا[1]:

وكلُّ ما وَافَقَ وَجْهَ نَحْو وكان للرَّسْمِ احتمالاً يحوِي

وَصحَّ إسناداً هو القرآنُ فهـــذه الثلاثةُ الأركانُ

2. دوافع ظهور هذا العلم:

كان من أهم دوافع ظهور هذا العلم، الرد على الطاعنين في القرآن الكريم وقراءاته، فقد ذكر ابن قتيبة في مقدمة كتابه (تأويل مشكل القرآن) صراحة السبب الذي دفعه إلى الكتابة في موضوع مشكل القرآن معتبراً ذلك بمثابة رد مباشر على الكائدين للقرآن من الملاحدة وغيرهم، وفي ذلك يقول: "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا (ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن موضعه، وعدلوه عن سبله، ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة واللحن، وفساد النظم والاختلاف، وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور... فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيّرة، والبراهين البينّة، وأكشف للناس ما يلبون، فألفت هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل القرآن"[2].

وعامل آخر كذلك أدى إلى ظهور هذا العلم، وهو غلّو بعض اللغويين والنحاة في تطبيق المنهج اللغوي لتمحيص القراءات القرآنية حتى إنّ بعضهم تجرَّأ فطعن

1 – ابن الجزري، شهاب الدين أبو بكر أحمد بن محمد. (1420هـ، 2000م): شرح طيبة النشر في القراءات العشر. تح: الشيخ أنس مهرة. بيروت: دار الكتب العلمية. ج1. ص: 8.

2 – ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. (1393هـ): تأويل مشكل القرآن. تح: أحمد صقر. القاهرة: دار التراث. ط2. ص: 22، 23.

في بعض القراءات مع تخطئة أصحابها، وهذا ما حمل أهل الغيرة من العلماء للرد عليهم والذود عن كتاب الله العزيز وبيان الوجوه اللغوية والنحوية الصحيحة التي تحمل عليها تلك القراءات التي أشكلت عليهم حين رد السيوطي بقوله: "وهم مخطئون في ذلك؛ فإن قراءَتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها، وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربية"[1].

ويقول الجطلاوي: "بذل المفسرون، وهم من أعلم الناس باللغة العربية، جهوداً لربط الصلة بين ما بدا في أسلوب القرآن شاذاً وبين أساليب العرب في مخاطباتهم واستشهدوا عليه من واقع اللغة بأشعار العرب وأمثالهم وأقوالهم وقواعد لغتهم حتى يثبتوا بذلك عربية القرآن"[2].

ويرى إبراهيم رفيدة أن بعض العلماء قد بالغ في نسبة الآراء القادحة في القراءات القرآنية للنحاة القدامى ويقول: "بأنهم كانوا أئمة مجتهدين، والمجتهد يصيب ويخطئ، وهو في كل الأحوال مأجور، ومنها أنهم بنوا قواعدهم على الأغلب الشائع دون القليل النادر، ومنها أنهم حددوا موقفهم هذا انطلاقاً من المناهج والضوابط التي كانت سائدة في عصرهم الأول لقبول أو رد القراءَة والمرويات عامة، حيث لم يكن علم القراءات قد ظهر بعد، فكان منهج النحاة هو السائد المتبع، أما بعد أن نشأ

1 – السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. (1979): الاقتراح في علم أصول النحو. تح: أحمد محمد قاسم. القاهرة: مطبعة السعادة. ط1. ص: 49.

2 – الجطلاوي، الهادي. (1998): قضايا اللغة في كتب التفسير. تونس: دار محمد علي الحامي. ط1. ص: 430، 431.

علم القراءات وقام القراء بحصر القراءات المتواترة، وظهرت القراءات السبع التي تواطأ عليها جماهير العلماء فقد بدأ النحاة في تغيير مواقفهم تجاهها وبدؤوا يجلونها ويعظمونها"[1]

3. أهمية توجيه القراءات:

أشار إلى أهمية توجيه القراءات الإمام الزركشي حين قال: "هو فن جليل، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها"[2] .

ونظراً لأهمية هذا العلم التفت إليه العلماء فاعتنوا به وتتبعوا القراءات وتولوا أمر توجيهها والاحتجاج لها، وتعليلها، فوضعوا في ذلك مصنفات قيمة لمّا "ظهرت في القراءات صور شتى من الاستخدام اللغوي تخالف القياس العام، وتخالف المألوف والعرف اللغوي، وكانت الحاجة إلى بيان قوة وجه العربية فيها، حتى تعيد إلى تلك القراءات قوتها ومنزلتها في اللغة القرآنية"[3] وبذلك أصبح علم توجيه القراءات علماً أصيلاً يرد على الطاعنين، كما قد يكون هذا العلم ضرورة دعت إليها الحاجة في فترة من فترات التاريخ الإسلامي، ويرى كثير من الباحثين اللغويين أن لهذا العلم

1 – رفيدة، إبراهيم عبد الله: النحو وكتب التفسير. ج2. مرجع سابق. ص: 768، 1174.

2 – الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: ط2. د.ت. ج1. ص: 339.

3 – آغا، طه صالح أمين. (2007): التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفرّاء في معاني القرآن. بيروت. ط1. ص: 21.

دوراً كبيراً في إثراء الدرس اللغوي العربي في مستوياته كلها "وقد أسهم هذا النوع من التأليف في إثراء العربية، وخدمة لغة القرآن"[1]

وعليه فلهذا العلم فوائد عظيمة، وللتأليف فيه مقاصد سامية، وغايات نبيلة وله قيمة كبرى في الدرس الشرعي واللغوي وبفضله تطور الدرس اللغوي والنحوي والبلاغي تطوراً كبيراً.

وليس الهدف من توجيه القراءات إثبات صحة القراءة أو خطئها، لأن ذلك محسوم بالسند الصحيح والمتواتر، ويبقى دور التوجيه محفوظاً في دعم هذه القراءات ورد الشبهات التي تثار حولها، إضافة إلى الفوائد اللغوية المستفادة من ذلك كله.

المبحث الثاني

الفصل والوصل

تمهيد: الفصل في اللغة هو الحاجز بين الشيئين، يقال: فصل بينهما يفصل فصلاً فانفصل، وفصلت الشيء فانفصل، أي: قطعته فانقطع... والوصل خلاف الفصل، يقال: وصل الشيء بالشيء يصله وصلاً وصلة[2] .

ولا يكاد مفهومهما في الاصطلاح ينفك عن ذلك المعنى اللغوي في مجالات البحث في العربية والقرآن الكريم.

1- العايد، سليمان بن إبراهيم: عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن. (بحث مقدم لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن المنعقدة من 4-1421/6/7هـ في مجمع الملك فهد للمصحف الشريف). الموقع الرسمي: www.m-a-arabia.com

2 - الجوهري، إسماعيل بن حماد. (1987): الصحاح. بيروت: دار العلم للملايين. ط4. فصل ووصل.

أما البحث البلاغي فإن المصطلح فيه يستشعر المدلول اللغوي الذي ظهرت بوادره، كما تحدثت بذلك كتب الأدب، في صورة ملاحظات عامة ونصائح أولية تقوم على مراعاة التناسب بين المعاني والاهتمام بمقاطع الكلام عند الخطابة والإنشاد، فيقع الفصل بين المعاني المختلفة أو عند تمام الكلام، ويكون الوصل بين المعاني المتآخية أو عند تعلق الكلام بما قبله[1]

ولعل أوضح تطبيق نُقل إلينا لذلك المبدأ هو ما يتمثل في أداء النص القرآني وذلك فيما يعرف بفن الوقف والابتداء في التجويد والتلاوة، الذي يسوغ الفصل أو الوصل بين المفردات والجمل، وربما كانت مهاداً واصلاً له وكأننا نسمع بذلك عن كمال الانقطاع وشبه كمال الانقطاع، حسبما ارتأى الدكتور منير سلطان، وهي رؤية أسلمته إلى القول بأن مصطلح الفصل والوصل في البلاغة مصدره علم القراءات، بدليل سبقه إليه وتشابه المدلول والغرض[2] .

أما عبد القاهر الجرجاني فقد استخلص من منهجه في النحو ومعانيه مفهوماً آخر للوصل والفصل إذ خصّه بالعطف وتركه؛ فاتخذ مصطلح الوصل للدلالة على عطف المفردات والجمل حال تغايرها واحتياجها إلى رابط بينهما، وجعل في مقابله

1 – العسكري، أبو هلال. (1986): كتاب الصناعتين. لبنان: منشورات المكتبة العصرية. ص: 438 وما بعدها.

2 – سلطان، منير. (1983): الفصل والوصل في القرآن الكريم. القاهرة: دار المعارف. ص: 17 وما بعدها.

مصطلح الفصل علماً على ترك العطف بين المفردات والجمل حال اتصالها والتباس بعضها ببعض، وعدم احتياجها إلى رابط لفظي[1] .

ولم يكن مراده من ذلك حصر قواعد هذا الفن بقدر ما كان غرضه الوقوف على أسراره البلاغية واستشرافها في القرآن الكريم وكلام العرب.

أما الزمخشري فيلفت النظر إلى أن الفصل وصل تقديري خفي، بل إنه أقوى من الوصل الظاهر بأحرف العطف "فإن قلت؛ أي فرق بين إدخال الفاء[2] ونزعها في (سوف تعلمون)؟ قلت: إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدّر كأنهم قالو: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال: سوف تعلمون، فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه[3] .

ولاقى هذا الرأي استحساناً عند بعض المتأخرين فاستعاضوا عن مصطلح الوصل والفصل بمصطلح الوصل الظاهر والخفي، ثم تطور الأمر عند بعض الباحثين –حسب مقتضيات أفكارهم، فأسموه الروابط الظاهرة والمعنوية.

---

1 – الجرجاني،عبد القاهر: (د.ت). دلائل الإعجاز.تح: محمد رشيد رضا.بيروت: دار الكتب العلمية. ص:170

2 – يشير بذلك إلى قوله تعالى: (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) الأنعام: 135

3 – الزمخشري، جار الله محمود بن عمر. (د.ت): الكشاف. تح: يوسف الحمادي. القاهرة: مكتبة مصر. 424/2.

فالروابط المعنوية هي التي تستغني بها الجمل حال التباس بعضها ببعض عن الربط الظاهر بالواو أو بغيرها[1]

لكن هذه الدراسة ارتضت أن تنتهج ما تعارف عليه الأولون ومعظم المتأخرين في استجلاء النكت البلاغية في تغاير القراءات القرآنية، وهذا ما سيتناوله المبحث التالي بإذن الله.

تطبيقات في الفصل:

هناك حروف تستخدم في الربط بين الجمل، وفي ربط المفردات، وهي حروف العطف، وهناك جمل يقوى الاتصال بها ويشتد، فلا تحتاج إلى هذه الحروف، حيث تغني عنها قوة الاتصال الداخلي بينها وهناك جمل تتباعد فلا يتأتى فيها الوصل بحروف العطف، يتبين لنا هذا الأمر في مواضع وحالات معينة مثل:

1- في قوله تعالى: (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ) سورة الواقعة. الآية: 1-3. نجد هذين الوصفين (خافضة رافعة) قد أتيا متصلين بلا عاطف للدلالة على المبالغة في التهويل والتفظيع، فهذا الاتصال يدل على أنها تخفض وترفع في آن واحد، وفي سرعة خاطفة، ولو عطف الوصفان فقيل: خافضة ورافعة، لخفت هذا المعنى وزال أثره، لذلك أتيا ملتحمين بلا عطف، فسياق الكلام وما بني عليه، يرفض مجيء الواو ويأباها لمناقضتها للغرض المقصود.

1 - شادي، محمد إبراهيم. (1987): مدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغي. القاهرة: مطبعة السعادة. ص: 91 وما بعدها.

2- كذلك إذا تأملنا قوله تعالى: (مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) سورة يوسف. الآية: 31. نجد أن الجملة الثانية (إن هذا إلا ملك كريم) مقررة للأولى (ما هذا بشرا) ومؤكدة لها، فإن نفي البشرية عنه –عليه السلام– يستلزم كونه ملكاً، ولذا لا يتأتى الوصل بينهما بالواو، كيف وبينهما وصل أقوى وارتباط أشد من هذا الوصل الخارجي الذي يتم بالواو؟

3- وقوله عز من قائل: (وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ *أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ* وَجَنَّاتٍ وَعُيُون) سورة الشعراء. الآية: 132–134. نجد أن الأنعام والبنين والجنات والعيون جزء مما أمدهم الله به، فالجملة الثانية (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) مرتبطة بالجملة الأولى (أمدكم بما تعلمون) ارتباط البدل بالمبدل منه (بدل البعض) ولهذا لم تعطف عليها لأن الصلة بينهما صلة قوية تمنع العطف بالواو، لذا نرى جملة البدل أدل على المراد وأوفى بالغرض وهو الحث على التدبر وشكر النعمة.

4- وقوله تعالى: (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى) سورة طه. الآية: 120. نجد أن جملة (قال ياآدم هل أدلك) قد بينت الجملة الأولى (فوسوس إليه الشيطان) ففي هذه الجملة خفاء وإبهام تتطلع النفس إلى إيضاحه وبيانه، وقد جاءَت الجملة الثانية موضحة ومبينة لذلك، فهي مرتبطة بالجملة الأولى ارتباط عطف البيان بالمعطوف عليه، وهذا الارتباط يمنع الوصل بالواو.

5- ويتردد الربط المعنوي بين المشاركة الإعرابية والاستئناف البياني على قراءَتي (يسبّح) بكسر الباء وفتحها[1] من قوله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) سورة النور. آية: 36، 37.

إذ جرت القراءَة "بفتح الباء على ما لم يُسمَّ فاعله، فـ(له) يقوم مقام الفاعل، ثم فسَّر من هو الذي يسبح له بقوله (رجال لا تلهيهم) كأنه لما قيل: (يسبح له فيها) فقيل: من هو الذي يسبح؟ فقيل: رجال، صفتهم كذا وكذا، وله نظائر في القرآن... وقرأ الباقون بكسر الباء، بنوا الفعل للفاعل، وهو (الرجال) فارتقوا بفعلهم" [2] .

واتصال الكلام بعضه ببعض عن طريق المشاركة الإعرابية يبدو على قراءَة الجمهور أوثق من غيره؛ ولذلك قبح الوقف على موضع (والآصال) مع كونه رأس آية؛ لتشوف الفعل إلى الالتباس بفاعله، ولكن هذا لا يقلل مطلقاً من القيمة البلاغية للاستئناف البياني المترتب على القراءَة الأخرى، لأن "مثل هذا الأسلوب يجاذب النفوس، ويستدعي نشاطها، ويثير فضولها للاستشراف والسؤال، حتى إذا أتى الاستئناف كان جواباً شافياً، وبهذا يتمكن المعنى في النفس أشد تمكن ويقع منها

1 – قرأها الجمهور ببنائها للفاعل، وقرأها ابن عامر ببنائها للمفعول. ينظر: ابن مجاهد: السبعة في القراءات. مرجع سابق. ص:456.

2 – مكي: الكشف. مرجع سابق. 193/2.

أمكن موقع؛ لأنه أتى بعد انتظار، وأطل بعد استشراف، وأطرق بعد ترقب، وفرق بين أن يفاجئك المعنى، وبين أن تنتظره وترتقبه" [1] .

6- وقد يتنوع الربط المعنوي بين المشاركة الإعرابية ووقوع الجملة الثانية مما قبلها موقع التأكيد على قراءتي (إنهم لا يعجزون) بكسر الهمزة وفتحها من قوله تعالى: (ولا يحسبنَّ الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون) الأنفال: 59.

قال مكي: "قرأ ابن عامر بفتح الهمزة، على إضمار اللام وحذفها، أي: سبقوا لأنهم لا يعجزون. والمعنى: لا يحسبن الكفار أنفسهم فاتوا؛ لأنهم لا يعجزون، أي: لا يفوتون، فـ(أن) في موضع نصب لحذف اللام، أو في موضع خفض على إعمال اللام، لكثرة حذفها مع (أن)... وقرأ الباقون بكسر (إن) على الاستئناف والقطع مما قبله، وهو الاختيار لما فيه من معنى التأكيد"[2] فجملة (أنهم لا يعجزون) ترتبط بما قبلها على قراءة الفتح ارتباط المفرد بجملته، أما على قراءة الكسر فلا محل لها من الإعراب، ولكنها وقعت مما قبلها موقع التذييل الذي يؤكد مضمونه؛ ولذا تُرك العطف بينهما.

هذه العلاقات والروابط التي تربط بين الجمل شغلت البلاغيين في باب الفصل والوصل الذي عدّوه من أهم أبواب البلاغة لخفائه، ودقة مسالكه، وصعوبة مسائله،

1 – شادي، محمد إبراهيم: مدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغي. مرجع سابق. ص:115.

2 – مكي: الكشف . 494/1. وينظر: الكشاف. 231/2، والجامع لإحكام القرآن. 134/8.

ولهذا جعلوه البلاغة، فقالوا في إجابة السائل عنها: البلاغة معرفة الفصل من الوصل[1].

وكان هذا من أهم الأبواب التي عُني بها موجهو القراءَات حيث تأملوا كيف يتم الربط بين الجمل والنظر بوعي في العلاقات بينها فانجلى لنا العديد من الأسرار والمزايا واللطائف التي تكمن وراء نظم الجمل في آيات الذكر الحكيم.

تطبيقات في الوصل:

وضع البلاغيون ضابطاً يحدد الجمل التي يجب أن يوصل بينها بالواو، وهو: أن تتفق الجملتان خبراً أو إنشاءً لفظاً ومعنى أو معنى فقط، وأن توجد بينهما المناسبة المسوغة للعطف، ولا يمنع من العطف مانع.

1- ففي قوله تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ *وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) سورة الانفطار. الآيتان: 13 ،14. اتفقت الآيتان في الخبرية لفظاً ومعنى، وتحقق التناسب بينهما، حيث تقابل طرفا الإسناد في كل منهما، الأبرار والفجار، والنعيم والجحيم، ولم يمنع من العطف مانع.

2- وفي قوله تعالى: (يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) سورة الأعراف. الآية:31. اتفقت الجمل الإنشائية لفظاً ومعنى، وتحقق بينها التناسب حيث اتحد المسند إليه في كل منهما وهو واو الجماعة، وتناسبت الأفعال المأمور بها وهي أخذ الزينة والأكل والشرب وعدم الإسراف، ولم يمنع من العطف مانع، وقد فصلت الجملة التي ختمت بها الآية

1 – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (1985): البيان والتبيين. تح: عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي. ط5. 88/1.

الكريمة (إنه لا يحب المسرفين) لأنها خبرية وتعليلية، فلا يتأتى وصلها بما تقدم من جمل إنشائية.

3- وهناك مواضع أخرى للواو تتبعها البلاغيون وتلمَّسوا دقائقها ولطائفها. ففي قوله تعالى: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) سورة التوبة. الآية: 112. وقوله تعالى: (الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) سورة آل عمران. آية:17. نجد في آية التوبة أن الصفات قد توالت بلا عطف ما عدا الصفات الثلاث الأخيرة. فقد جاءَت معطوفة، وفي آية آل عمران جاءَت الصفات معطوفة، عَلام يدل ذلك؟ وما الغرض من مجيء الواو وتركها بين هذه الصفات؟

إن مجيء الواو بين هذه الصفات يدل على كمال أولئك الموصوفين في كل صفة على حدة، وتركها يدل على أنها مجتمعة فيهم وكأنها صفة واحدة، فمجيء الواو دل على كمال الموصوفين في كل صفة من الصفات المذكورة وتركها دل على كمال اجتماع هذه الصفات من الموصوفين.[1]

4- وتأتي الواو بين الصفة وموصوفها، أو بين الحال وصاحبها فيكون للكلام معنى يختلف عنه عند مجيئها، فقي قوله تعالى: (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ) سورة الكهف. الآية: 22. يؤذن مجيء الواو بين الصفة وموصوفها في قوله تعالى (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) بصحة هذا القول وصوابه، حيث دلت على لصوق الصفة بموصوفها، وكأنهم قد قالوا قولين، قالوا هم سبعة وقالوا ثامنهم كلبهم، ومرد

1- الزمخشري: الكشاف. مرجع سابق. 417/1.

ذلك إلى ما في الواو من معنى المغايرة وهذان القولان يؤكد كل منهما الآخر وهو ما آذن بصحة هذا القول ودل على صوابه ولذا جاء عقبه (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) ولم تأت الواو بين الصفة وموصوفها في القولين الآخرين (ثلاثة رابعهم كلبهم... خمسة سادسهم كلبهم) حيث لم يرد هذا التأكيد لعدم صحة القولين ولذا جاء عقبهما قوله تعالى (رجماً بالغيب)[1] .

يقول الزمخشري "فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة، ولم دخلت عليها دون الأوليين؟ قلت: هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك: جاءَني رجل ومعه آخر، ومررت بزيد وفي يده سيف، وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت ومستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا (سبعة وثامنهم كلبهم) قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس، ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم، والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله (رجماً بالغيب) وأتبع الثالث قوله: (وما يعلمهم إلا قليل)[2] .

فالواو تأتي بين الصفة وموصوفها عندما يقتضي المقام تأكيد المعنى وتثبيته، لأنها تدل على تأكيد لصوق الصفة بموصوفها، وعلى أن اتصافه بها أمر ثابت ومستقر.

1 – فيود، بسيوني عبد الفتاح. (2010): بلاغة النظم القرآني. القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. ط1. ص: 206.

2 – الزمخشري. الكشاف. 479/2.

5- وقد يتأثر معنى الواو بتغاير قراءَة الاسم بعدها، مثال ذلك ما تردد في توجيه قراءَتي: (والجروح) بالرفع والنصب[1] من قول الله تعالى: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ) سورة المائدة. الآية:45.

يقول مكي "وحجة من رفع (الجروح) أنه عطفه على ما قبله، إن كان يقرأ برفع ما قبله، وإن كان يقرأ بنصب ما قبله، فإنما رفعه على الابتداء، برفع ما قبله و (قصاص) خبره، فيكون إذا قطعته مما قبله ليس مما كتب عليهم في التوراة، إنما هو استئناف شريعة لأمة محمد -صلى الله عليه وسلم- ... فالرفع في (الجروح) قوي من جهة الإعراب، والنصب قوي من جهة المعنى، واتصال بعض الكلام ببعض، غير منقطع بعضه من بعض، ومحمول على أنه كله مكتوب في التوراة"[2]

النتـــائج

لقد توصلت هذه الدراسة في مبحثيها، إلى النتائج الآتية:

نظراً لكثرة القراءات القرآنية، وتجرُّؤ بعضهم على التشكيك في صحتها أو مصدرها، أو وصفها بأوصاف لا تليق، نهض عدد من العلماء القراء والمفسرين واللغويين والنحويين يدافعون عن القراءات القرآنية من حيث لغتها، وفصاحتها، فنشأ علم جديد من العلوم الإسلامية سُمَّي فيما بعد بعلم توجيه القراءات.

---

1 - قرأها عاصم ونافع وحمزة بنصبها ونصب ما قبلها. وقرأها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالرفع ونصب ما قبلها. وقرأ الكسائي (أن النفس) بالنصب. ورفع ما بعد ذلك كله. ينظر: ابن مجاهد: السبعة في القراءات. ص:244.

2 - مكي: الكشف . مرجع سابق. 409/2.

إن توجيه القراءات هو علم قائم بذاته، له علماؤه الثقات، ومصنفاته الكثيرة، وقيمته الشرعية واللغوية والفكرية، إذ هو من وسائل الدفاع عن هذه القراءات، وبيان وجهها العربي الصحيح، ومن وسائل إبراز مظاهر الإعجاز القرآني، واستخراج حكمه وأحكامه، وإنه ليحتاج إلى بحث مستقل، للنظر في نشأته، وتطوره من عصر النبوة إلى العصر الحديث، ورواده، وأهم المؤلفات التي وضعت فيه، وأهميته، وعلاقته بالعلوم الأخرى.

إن لعلم توجيه القراءات قيمة كبرى في الدرس الشرعي واللغوي، كما يكشف عن كثير من وجوه الإعجاز، وبه يُردّ على الطاعنين، وبفضله تطور الدرس اللغوي العربي تطوراً كبيراً.

عُرف مصطلح الفصل والوصل في غير مجال من مجالات البحث في العربية والقرآن الكريم، وشاع مفهومه البلاغي الأوَّلي فيما يعرف بفن الوقف والابتداء في علم الأداء والتجويد.

تميز الفصل والوصل باشتماله على أدق التفاصيل التي تكشف عن بعض أسرار الإعجاز النظمي في القرآن الكريم.

ليس لهذه الدراسة من فضل إلا جمع بعض شذرات مما بسطه العلماء الأوائل في تصنيفاتهم. جزاهم الله عنا أفضل الجزاء. والموضوع بحاجة إلى دراسة موسعة.

أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجـــع

-آغا، طه صالح أمين. (2007): التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفرّاء في معاني القرآن. بيروت: ط1.

- ابن أبي طالب، مكي. (1984): الكشف عن وجوه القراءات. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط2.

- الأندلسي، أبو حيَّان. (1419هـ): البحر المحيط. تح: الشيخ عادل أحمد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1.

- أنيس، إبراهيم. (1966): من أسرار اللغة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ط2.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (1985): البيان والتبيين. تح: عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي. ط5.

- الجرجاني، عبد القاهر. (د.ت): دلائل الإعجاز. تح: محمد رشيد رضا. بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن الجزري، شهاب الدين أبو بكر أحمد بن محمد. (1420هـ، 2000م): شرح طيبة النشر في القراءات العشر. تح: الشيخ أنس مهرة. بيروت: دار الكتب العلمية.

-الجطلاوي، الهادي. (1998): قضايا اللغة في كتب التفسير. تونس: دار محمد علي الحامي. ط1.

- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد. (1987): الصحاح. بيروت: دار العلم للملايين. ط4.

- الخفاجي، الشهاب. (د.ت) حاشية الشهاب الخفاجي. بيروت. دار صادر.

– رفيدة، إبراهيم عبد الله. (1990): النحو وكتب التفسير. ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان. ط3.

– الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: ط2.

– الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: الكشاف. تح: يوسف الحمادي. القاهرة: مكتبة مصر.

– سلطان، منير. (1983): الفصل والوصل في القرآن الكريم. القاهرة: دار المعارف.

– السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. (1979): الاقتراح في علم أصول النحو. تح: أحمد محمد قاسم. القاهرة: مطبعة السعادة. ط1.

– شادي، محمد إبراهيم. (1987): مدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغي. القاهرة: مطبعة السعادة.

– العايد، سليمان بن إبراهيم: عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن. (بحث مقدم لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن المنعقدة من 4– 7/6/ 1421هـ في مجمع الملك فهد للمصحف الشريف). الموقع الرسمي: www.m–a–arabia.com

– العسكري، أبو هلال. (1986): كتاب الصناعتين. لبنان: منشورات المكتبة العصرية.

– الفارسي، أبو علي: الحجة للقراء السبعة. تح: بدر الدين قهوجي. الأردن: دار المأمون للتراث

– فيود، بسيوني عبد الفتاح. (2010): بلاغة النظم القرآني. القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. ط1.18–
– ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. (1393هـ): تأويل مشكل القرآن. تح: أحمد صقر. القاهرة: دار التراث. ط2.
– ابن مجاهد، أبو بكر. (1972): السبعة في القراءات. تح: د. شوقي ضيف. القاهرة: دار المعارف.

سيرة ذاتية: حواء عمر محمد الشويرف، عضو هيئة التدريس بكلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مصراتة، حصلت على الإجازة العالية "الماجستير" في تخصص اللغويات على بحثي الموسوم بـ "الخصائص الشكلية والدلالية لرواية السهل لأحمد نصر "دراسة تحليلية" من جامعة مصراتة سنة: 2007م. محاضر في فروع اللغويات واللسانيات بقسم اللغة العربية وآدابها، وفي مادة اللغة العربية العامة في الأقسام الأخرى، عضو لجنة المعادلات بكلية الآداب بقسم اللغة العربية في العام الجامعي 2015– 2016م.